

"وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ"

قال تعالى: " وَلَا تَسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ " البقرة/ ٢٣٧

إن الاختلاف في الرأي وتباين وجهات النظر في المسائل الاجتهادية أمر إيجابي، ودلالة على نُضوج الفكر وتنوع الثقافات، طالما أن الخلاف ناتج عن استدلالات وموازنات وترجيح بين المصالح والمفاسد ممن هو أهل لذلك من أهل العلم والرأي والنظر والتحقيق، يقول ابن القيم رحمه الله: "إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مسأغ لم تنكر على من عمل فيها مجتهداً أو مقلداً".

فعلينا أن نعذر بعضنا بعضاً، خاصة إذا كان الاجتهاد والرأي صادر من رموز أهل العلم المشهود لهم بالفضل والبذل في طريق الدعوة والجهاد.. فهؤلاء وإن لم يوافقوا الصواب في مسألة أو رأي، فهم لم يتعمدوه بل قد يخفى عليهم من أمر واقع الحال ما يحملهم على تلك النتائج التي وصلوا إليها.. ومن حقهم علينا أن نناصحهم بأحسن العبارات وألطفها، وأن نحمل كلامهم على محمل الخير، وأن نبتعد كل البعد عن مذهب التبديع والتفسيق والتجهيل، فهذه قمم لا تليق في موطن التناصح بين العامة، فكيف بمن بذل نفسه وعمره في الذب عن هذا الدين، ولاقى ما لاقى من أذى وسجن وتضييق، وما زالت مواقفه تشهد له بالخير والفضل.

ومما استقر عليه أهل العلم أنه لا يلزم من الخلاف التنازع والشقاق والتشنيع، طالما أنه في حدود الشرع، وقد اختلف السلف والخلف مع الالتزام بأدب الاختلاف وقواعده، ومن خالف منهم هذه القواعد لم يُبارك في علمه، وزهد الكثير في خيره، بسبب زعارته وشدته على المخالف.

يقول ابن القيم رحمه الله: "وقوع الاختلاف بين الناس أمر ضروري لا بد منه لتفاوت أغراضهم وأفهامهم وقوى إدراكهم، ولكن المذموم بغى بعضهم على بعض وعدوانه..".

فعلينا ألا ننسى الظن بهم، ولا نتبع زلاقم، بغرض النيل منهم واسقاطهم، لمجرد خلافنا معهم، ولو أن كل أحد اجتهد في أمر فأخطأ في اجتهاده وتصوره خطأً مغفوراً له- بل قد يثاب عليه- قمنا عليه وبدعناه ولمزناه، لما سلم لنا أحد، فليس كل مسائل الخلاف تدور بين رحى الحق والباطل؛ فقد يقع الخلاف وكلا الفريقين على الحق كما حدث بين الصحابة يوم بني قريظة، وتاريخ السلف عامر بمثل هذه المواقف المشرفة.

يقول يونس الصديقي: "ما رأيت أعقل من الشافعي ناظرته يوماً في مسألة ثم افترقنا، ولقيني فأخذ بيدي، ثم قال يا أبا موسى ألا يستقيم أن نكون إخواناً وإن لم نتفق في مسألة".

قال الذهبي: ".. وهذا يدل على كمال عقل الإمام وفقه نفسه ، فما زال النظراء يختلفون".

وقال أحمد بن حفص السعدي، شيخ ابن عدي،

سمعت أحمد بن حنبل يقول: "لم يعبر الجسر إلى خراسان مثل إسحاق-ابن راهويه- وإن كان يخالفنا في أشياء، فإن الناس لم يزل يخالف بعضهم بعضاً".

واختلف أحمد وعلي بن المديني حتى ارتفعت أصواتهما، فلما أراد علي الانصراف قام أحمد فأخذ بركابه.

ورغم اختلاف المدرستين؛ مدرسة أهل الرأي ومدرسة أهل الحديث، نرى الإمام الشافعي رحمه الله يُثني على الإمام أبي حنيفة بقوله: "الناس عيال على أبي حنيفة في الفقه".

وهكذا كان دأب سلفنا الصالح، فما أحوجنا لسيرتهم وهديبهم، فالاعتصام بالجماعة والاتلاف من أصول الدين التي يجب أن نلتزم بها في كل مراحل عملنا، فلا يجوز لنا التفريط في جانب الأخوة لمجرد اختلاف في الرأي، وعلينا أن نقدم الأعذار بين يدي الخلاف، فهذا حري به أن يذهب البغضاء والشحناء قال تعالى: " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ " الأنفال.

اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وآله واراض عن الأصحاب الكرام ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



نشرة توعوية